الشيء ورمزه اللغوي ، ويضيع القارىء حين تضيع مقاييسه .

« للمرة الاولى .. اشتري زجاجة بترول .. واهديها لحبيبتي .

وللمرة الاولى .. تأخذ حبيبتي الهدية باعتزاز .

وتضع قطرة نفط تحت الاذن اليمنى ..

وقطرة نفط تحت الاذن اليسرى ..

وتشكرني لانني اعدت اليها الثقة بأنوثتها .. واهديتها عطرها المفضل : النفط .

الانوثة العربية ، بعد حرب تشرين ، تخلت عن ادوات التواليت القديمة . الخ .. »

هذا نص نموذجي لما تحويه محاولة قباني الانقلابية !! هذا نثر شعري او نثر شاعري على الاصح ، اي نثر يكتبه شاعر كي لا يقول شيئا يسقط في موضوع ، يريد الخروج منه ، فيستعيد اكثر اشكال الكتابة مباشرة . فيهرب من المباشرة الى الصورة التي تفرض عليك موقفا مسبقا ـ تقدير الدول النفطية ، دون ان نقول هذا بشكل مباشر . تختفي حول شكل شبه شاعري ؟ لتدعونا الى تقدير النفط والتزين به . هذا التحايل على الموضوع هو جوهر النثر القباني ، يأتي الى موضوعه من الخلف ، ليفرض على القارىء قناعات لا تحتاج الى براهين ، وهذه أفضل طرق تسلل الايديولوجية السائدة . او قد يلجأ الى الديماغوجية بشكل اذاعي كما في مقاله « الشركة السورية الفلسطينية للتحرير » .

هناك ميزة اخرى للغة اللالغة هذه . انها تختفي خلف اللغة الثورية ، تدعو الى رفض الذاكرة ، والى القدرة . لكنها ليست ثورة شعراء السبعينات كما انها « ترفض وضع قنبلة موقوتة تحت سرير كونفوشيوس بعد خمسة الاف سنة من وفاته » . انها ثورة « متمدنة » ثورة التطور. لا تحب الغرباء والصعاليك ، وتعتز بالنابغة الذبياني . هكذا تستطيع هذه اللغة اللجوء الى جميع الاشكال الممكنة ، فهي تارة « ثورية » وطورا محافظة . لكنها في الحالتين تحافظ على ثابتها الاساسي : الغاء الدلالة ، والبقاء في فراغ ، حيث تستطيع الايديولوجية السائدة ان تقمع دون رقيب .

ان النصوص النثرية في هذا الكتاب ، ليست اكثر من مؤشرات بالغة الدلالة ، لمرحلة قادمة ، تبشرنا بها القوى المسيطرة . مرحلة الغاء الكتابة الفعلية بتحويلها الى كتابة استهلاكية بشكل مطلق، وهنا تناقضها مع نفسها ، لاجل ذلك تستفيق في بعض النصوص لتعود الى الكتابة ، ثم تنام مرة اخرى في شكلها الحالي .

أما لغة قباني الشعرية ، فهي موضوع شائك واكثر تعقيدا ، لكنها فيما عدا بداياتها وايقاعها الذي اكتشفته في هذه البدايات ، تندرج تحت هذا العنوان الكبير ، الذي يريد افراغ النص من مضامينه الصراعية . هكذا فنحن لسنا امام كتابة انقلابية ، نحن فقط امام محاولة انقلابية ، تريد سرقة شعارات الثورة واجهاضها .

جدلية الوطن

في مجموعته الشعرية الاولى « جدلية الوطن »، يأتي صوت علي الخليلي ، بالغ التواضع والطموح، ليبحث بين الكلمات عن جسد القصيدة. يحاور مأساة شعبه ، يتغلغل داخلها ، ويخرج منها بحصاد قليل ، لكنه حصاد البحث عن لغة واحدة تضم شتات الصور والانفعالات لتسكبها في اطار يوحدها ، ويعيد ترتيب معانيها : في القصيدة . فاللحظة الشعرية ، بوصفها لحظة انفعالية ، يبلغ فيها التوتر اللغوي درجاته القصوى . لا تستطيع ان تتكون خارج شبكة علاقات ، تكون وحدة في الموقف والرؤيا . فشعر المنفى ، الذي تكون كصوت فني خاص بعد هزيمة ١٩٦٧ ، لم يبق عند لحظات بداياته ، بل استطاع بالتجربة والممارسة ان يؤسس ، لحظة رؤيا متكاملة داخل الصوت الشعري الفلسطيني . فقد استطاع بهذا المعنى ، ان يلم شتات لحظاته الانفعالية المتفرقة ويسكبها داخل معاناة المخيم

علي الخليلي : **جدلية الوطن** دار العودة ، بيروت .